# Thème

## الثقافة والتأريخ

في أووربا يؤرخون للثقافة بالقرون انطلاقا من ميلاد المسيح فيقولون: الفكر اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد.. والفكر الفرنسي أو الألماني، أو الأوربي بكيفية عامة، في القرن الثامن عشر الميلادي مثلا. إنهم بذلك يقيمون –سواء كان هذا مطابقا للواقع التاريخي أو غير مطابق- اتصالا بين مراحل تطور الفكر الأوربي فيجعلونه يمتد في وعيهم من القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد إلى عصرنا الراهن. وإذا أرادوا النظر إلى هذا "الفكر الأوربي" (الذي يمتد في وعيهم على مدى ثمانية وعشرين قرنا أو أكثر) من زاوية ما اصطلحنا نحن هنا على تسميته بالزمن الثقافي صنفوه إلى ثلاثة عصور ثقافية: العصر القديم (الإغريقي-اللاتيني) والعصر الوسيط (المسيحي) والعصر الحديث. إننا هنا أمام استمرارية تاريخية تشكل إطارا تاريخيا ثابتا وواضحا. وسواء كانت هذه الاستمرارية حقيقية أو موهومة، وسواء نظر إليها على أنها تمتد بحركة متصلة أو عبر "قطائع" فإن المهم هو وظيفتها على صعيد الوعي. إنها "تنظم" التاريخ، وتفصل فيه بين ما قبل وما بعد بصورة تجعل من المستحيل التطلع، حتى على صعيد الوعي الحالم، إلى عودة ما قبل ليحل محل ما بعد. وبعبارة أخرى، إن هذه الاستمرارية –الحقيقية أو الموهومة، لا فرق- تمد أصحابها بوعي تاريخي يجعلهم يتجهون إلى المستقبل دون أن يتنكروا للماضي، وأيضا دون أن يجعلوا هذا الماضي أمامهم فيقرأون فيه مستقبلهم. إن الماضي هنا يحتل مكانه "الطبيعي" من التاريخ، وأيضا – وهذا هو المهم- من الوعي بهذا التاريخ.

أما نحن في العالم العربي فلا نؤرخ لثقافتنا بالقرون –إلا تكلفا. فنحن ما زلنا نؤرخ لها بزمن الأُسر الحاكمة، فنقول: الشعر أو الأدب، أو الفكر العربي عموما، في "العصر الأموي" أو في "العصر العباسي" أو في "العصر الفاطمي"...إلخ. وإذا تبنى بعضنا التصنيف الأوربي كإطار مرجعي صنف الثقافة العربية إلى زمنين: الثقافة العربية في "القرون الوسطى"، والثقافة العربية في "العصر الحديث"، أما "العصر القديم" فلا مكان له في "التاريخ" العربي، الشيء الذي يجعل "القرون الوسطى" العربية هذه تفتقد الطرف الآخر الذي يبرر "وسطويتها". ليس هذا وحسب، بل إننا عندما نسير مع "التقليد" الأوروبي فنؤرخ لثقافتنا بـ"القرون" تجدنا نستعمل التاريخ الهجري بالنسبة للزمن الأول زمن الثقافة العربية في "القرون الوسطى" الذي نمدده إلى القرن السابع أو القرن الثامن الهجري، ثم ترانا نقفز إلى التاريخ الميلادي بالنسبة للزمن الثاني، زمن الفكر العربي في "عصر النهضة" الذي نبدأه مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي... أما ما بين "القرون الوسطى" هذه و"عصر النهضة"، أي ما بين القرن الثامن الهجري أو الخامس عشر الميلادي وبين القرن الثالث عشر الهجري أو التاسع عشر الميلادي فـ"حلقة مفقودة" في التاريخ العربي.. وأيضا ثغرة عميقة ومشوشة في الوعي العربي.

محمد عابد الجابري، *تكوين العقل العربي*، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1984، ص ص. 43-44.